Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

إشكالية قابلية الثقافات للترجمة
ومدى إمكانية تعريب المصطلح

The Problem of Translatability of Cultures and the Degree of the Arabiation of Concepts

عبد القادر شرشار
جامعة وهران -الجزائر
charchar132002@yahoo.fr

Abstract: *In this article, I want to raise an aspect of the problem of translation through the crossing of human tongues of different cultures and civilizations, rhyming and ideologically. Then, I state that the issues that arise about the relationship between Arab culture and translation of terms are of a very vital relationship, not because it ruled the Arab epistemological view for a long time, as Saad Al-Baza'i says; but because it is still governed by it, and therefore it needs to be reconsidered, in order for a renewed development to take place in the Arab knowledge project. It is difficult to reduce this project to a narrow space, because translation is a process that lies at the basic turning point, not only for humanities but for the cultural and knowledge building as a whole.*
Keywords: *The problem of translation, Arabic culture, Arabization of the concept.*
الملخص: أريد بهذه المداخلة إثارة جانب من إشكالية الترجمة من خلال عبور الألسن البشرية للثقافات و الحضارات المتباينة تقفيا و إيديولوجيا وما يطرح من قضايا حول العلاقة بين الثقافة العربية و الترجمة من حيث هي علاقة بالغة الحيوية لا لأنها حكمت النظرة المعرفية العربية زمنا طويلا كما يقول سعد البازعي ،ولكن لأنها لا تزال تحكمها،و هي بالتالي في حاجة إلى إعادة نظر، لكي تحصل صيرورة متجددة في المشروع المعرفي العربي الذي يصعب اختزاله في حيز ضيق؛ذلك أن الترجمة عملية تكمن في المنعطف الأساسي لا للعلوم الإنسانية وحدها و إنما للبناء الثقافي المعرفي ككل.
الكلمات المفتاحية: إشكالية الترجمة، الثقافة العربية، تعريب المصطلح.

من خلال تفكيك هذه الإشكالية، أعرض مدخلا تحليليا لطبيعة الترجمة باعتبارها نشاطا منتجا للمعنى في ارتباطه بما أصبح يدعى بـ"المباحث اللسانية"،و لذلك ألفينا من ينزل مسألة

الـترجمة ضـمن هذه المباحث، ويعتبر قضاياها من صميم البحث في سياق الدلائلية، مخالفا بذلك الاتجاه الكلاسيكي الذي حصر الترجمة في إطار علاقة لغة بأخرى، وكان من نتائج هذا التصور أن سقطت علاقة الخطاب بالخطاب بعد أن تطور علم العلامات أو السيميائية الذي يتصدى لدراسة الجوانب الفلسفية والنفسية والاجتماعية لأنظمة العلامات ***Systéme de Signe*** على اختلاف أنواعهـا ومصـادرها بوصفها رموزا تواصلية، واللغة الطبيعية واحدة من هذه الأنظمة. ويعـــترف الباحـثون في السيمائية اليوم بأن النظام اللغوي هو الأرقى بين الأنظمة لكنه الأكثر تعقيدا،مقارنة بأي نظام علاماتي آخر أو بأي لغة اصطناعية أخرى.[1] و بحـلول اللسانيات حلولا صارخا في الدراسات اللغوية آل الأمر إلى التفكير في مادة الترجمة[2].

فلم تبق نقلا من لغة إلى لغة أخرى بل تفطن الدارسون إلى ما اصطلح عليه بـ"التداخل اللغوي,"و ما تحمله اللغة الواحدة من إمكانية للنمو الذي يراعي عند عملية الترجمة[3].على أن اللسانيات و إن راعت الفروق الجوهرية بين اللغات و أشارت إلى عسر وظيفة الترجمان،فإنها فتحت على خصائص لغوية أخرى لها دور في الإغراء بالإرتفاع بالترجمة إلى مستوى الدقة اللغوية[4].ومما سبق ذكره يبدو أن الترجمة وليد شرعي للظاهرة اللغوية لدى البشر،فما أن تفرق هؤلاء شعوبا و قبائل و تطورت لديهم الظاهرة اللغوية ألسنا مختلفة حتى ظهرت الحاجة إلى الترجمة لتحقق بين الناطقين بلغات مختلفة ما تحققه اللغة الواحدة بين الناطقين بها من وظائف توصيل الأفكار والمشاعر والرغبات،و لتحقيق التفاهم الذي هو الوظيفة العليا للغة[5].

غير أن الترجمة ما كانت يوما ولن تكون أبدا كغاية مطلقة، ذلك أنه لا يمكنها أن تنجح في التعامل مع كل الوظائف التي طورتها اللغات عن وظيفتها الأصلية في إبلاغ أو توصيل الرسالة من المرسِل إلى المرسَل إليه أو المتلقي. وإذا كانت الرسالة في اللغة الواحدة لا تسلم - كما يؤكد الواسطي - من خلل في التوصيل بسبب الخلط والإبهام والتشويش فإن الحدث الترجمي بين اللغات المختلفة

[1] سلمان داود الواسطي، التفاعل بين الإنسان والآلة في الترجمة الحاسوبية، موقع في الانترنيت، 2002.

[2] كمال عمران وآخرون، الترجمة ونظرياتها، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس ،1989، ص.15

[3] المرجع السابق، ص.15

[4] المرجع السابق، ص.15-16

[5] المرجع السابق، الموقع نفسه.

يكون أكثر عرضة للخلل،لأنه يتضمن في آن واحد ضعف ما يتضمنه الحدث اللغوي في اللغة الواحدة من أطراف و فعاليات،إذ يتحتم على المترجم أن يكون متلقيا و مُرسلا في الوقت نفسه،و يتحتم عليه أن تكوم الرسالة كاملة بين نظامين مختلفين من الترميز اللغوي،فيفك بمساعدة النظام الأول رموز الرسالة في صيغتها الأولى أي في لغة المصدر و يعيد بمساعدة النظام الثاني تركيبها رموزا جديدة ثم يبثها كتابا أو كلاما،بما يفترض أن يضمن لها كمال الإبلاغ و حسن التلقي[6].

وتأسيسا على هذا المدخل الذي يربط الفعل الترجمي باللغة الطبيعية في مستوياتها المختلفة، نطرح السؤال الآتي: ما مدى الكفاية وحدود القصور ودرجة الثقة التي يمكننا أن نمنحها النص المترجم؟

ويبدو أن الإجابة عن هذا السؤال تستوجب معرفة هدف الرسالة وطبيعة اللغة المستخدمة فيها. فإذا كان الهدف مجرد توصيل الحقائق والمعلومات من خلال لغة محايدة شفافة لا تثير الانتباه لذاتها ولا تستهدف وظيفتها التوصيلية. أي عندما تكون مفرداتها أحادية المرجع لا تشير فيها الدوال(Signifies) إلا إلى مدلولات محددة أو (Referents) لا يُبتغى منها غير توصيل مراجعها إلى المتلقي مجردة عن أي ظلال إيحائية أو قيم انفعالية (.(Emotions connotativesفي هذه الحالة تكون كفاية الترجمة واسعة ومقبولة، وتكون مهمة المترجم يسيرة هينة. لكنها تغدو مغامرة تحف بها المصائب ويهددها سوء الفهم عندما تتجاوز اللغة في النص المترجم وظيفتها النفعية لتؤدي وظيفة فنية أو انفعالية،تتفتح فيه الدوال،أي المفردات اللغوية على عالم أوسع من الإيحاءات و التداعيات بحيث يجلب لأصواتها و مفرداتها،و حتى تراكيبها النحوية ما يفوق أحيانا ما تتطلبه مدلولاتها و مراجعها،ذلك أن توجيه المتلقي إلى الذات هو ما تفعله اللغة في النص الأدبي أو الثقافي الانفعالي،ولعل هذا السبب هو الذي دفع بالبعض إلى القول باستحالة ترجمة النصوص الشعرية و بعض الصيغ الثقافية ذات الحمولة التاريخية المكتفة دون تضحيات كبيرة تتصل أحيانا بموسيقى النص و صوره و مجازاته و إيماءاته الانفعالية[7].

---

[6] سلمان داود الواسطي، التفاعل بين الإنسان والآلة في الترجمة الحاسوبية، الموقع نفسه.

[7] سعد البازعي، تعالي المصطلح وانحناء التعريب. ينقل البازعي في هذا المقال عن المفكر الألماني هايدغر فكرة استحالة نقل الثقافات، لما تحمله الألفاظ من دلالات مترسخة في عمق الذاكرة الجمعية، يصعب معها نقل الدلالة دون المعرفة العميقة بهذه الحمولة التي قد لا نجد لها مقابلا في اللغة والثقافة المنقول إليها.

وإذا كان الحديث اليوم مركزا حول ما يرافق الترجمة البشرية من مقيدات على كفايتها، بما يحمل على الشك في دقتها على الرغم من أن القائم بها بشر يتمتعون بذكاء ومقدرة على التفكير والفهم والإفهام، فما مصير الترجمة عندما تتحول إلى آلة، وما مدى كفاية الآلة في نقل الرسائل من لغة طبيعية إلى لغة طبيعية أخرى، على الرغم من أن علماء اللسانيات يعدون بأنهم سيجعلون الحاسوب قادرا بشكل آلي ودون تدخل الإنسان على إنجاز ترجمة نوعية، لكنهم يتحاشون ذكر المجالات التي يستطيع الحاسوب أن ينجح فيها دون مساعدة الإنسان.

ليست هذه المسألة أولية من أوليات هذا البحث إنما القضية المركزية فيه هي :هل بإمكان الترجمة أن تتخطى إشكاليات التغير الثقافي و المكاني و الزماني،وأن تتجاوز التأثيرات الحضارية و التاريخية المحلية لكل ثقافة أو ما يدعوه المفكر الألماني "هايدغر بالتلوث"[8] الذي يعتري المفردات و حمولتها المفاهيمية المعرفية عبر انتقاله بين لغات بشرية متعددة،بحثا عن استعادة براءة الدلالة التي فقدتها عبر التاريخ الثقافي الطويل؟

إن ترجمة أي منتج ثقافي سواء أكان مصطلحا أو فلسفة أو قصيدة بنقله من لغة وثقافة أخرى يعني في أبسط صورة الدخول في علاقة مع تلك الثقافة ، تلك العلاقة يصفها البعض بأنها (حوار) يقوم فيه المترجم بوظيفة الوسيط المنسق الباحث عما هو أقرب و أدق تحقيقا للتفاهم و الفائدة المشتركة[9].

وهذه الرؤية لدور الترجمة هي التي تشيع في العديد من الجهد الترجمي، وكان من نتائجها الكثير من الأعمال المهمة في تاريخ الترجمة في جميع اللغات، غير أن هذا لا يعني أنها ليست مسؤولة عن العديد من المشكلات التي تضمنت الكثير من الأخطاء والفجوات فيما ترجم من ثقافات ومعارف مختلفة، ذلك أن الترجمة تنطوي على كثير من المخاطر لاسيما حين تتغاير الأنظمة الثقافية على النحو الذي نعرفه بين الثقافة الغربية والثقافة العربية مثلا.

---

[8] نقله سعد البازعي عن النص الإنكليزي المترجم عن الألمانية، والإشارة من قبل هايدغر إلى مشكلات الترجمة تفرض الوعي بما يمكن أن يؤثر في نقل المعرفة على حد تعبير البازعي، وقد يلحق بترجمة المفكر الألماني إلى الإنكليزية ما كان يتوجس منه خيفة، لأن هايدغر فيما يبدو تحدث عن اللفظة المبدئية أو (عبر) Transويمكن أن يجعل قرب الألمانية من الإنكليزية احتمالات الاختلاف في الدلالة أقل بكثير مما يحدث عند الانتقال إلى لغة بعيدة كالعربية مثلا.

[9] سعد البازعي، تعالي المصطلح وانحناء التعريب، مرجع سابق، الموقع نفسه.

ويبدو أن الأمر لا يتعلق باستحالة الانتقال بالترجمة أو إعادة التوظيف لكن المقصود هو أن الخصوصية الثقافية من تركيب داخلي وتاريخ وغيره تثير تحديات ليس من السهل تجاوزها بترجمات عابرة للثقافات، جاهلة أو متجاهلة لتلك الخصوصيات.ولعل هذا ما جعل الباحث سعد البازعي يعتقد أن ترجمة المضامين الثقافية ترجمة خاطئة بالضرورة،بمعنى أن الترجمة لابد أن تكون إعادة توظيف على نحو يلغي الدلالة أو الدلالات الأصلية[10].

وغير بعيد عن هذه الرؤية يؤكد الباحث الأمريكي ج. هلس الذي كان أحد أساتذة جامعة يـيـل Yale عدم قابلية الثقافات للترجمة لأن ثمة مفردات في الثقافة تستعصي على الترجمة لأن لها تاريخا راسخا في الثقافة الأصلية، ومن غير الممكن فصلها عن ذلك التاريخ إذ يتصل باستعمالات عميقة في الذاكرة الجمعية.

وليس هذا ما تعاني منه ترجمة الثقافات؛ بل هنالك بعد آخر يتعلق أساسا بالإيديولوجية النفعية المتمثلة فيما يمكن أن يطلق عليه بالثوابت والمصالح الثقافية سواء فيما يتصل بالفرد أو الجماعة التي تقوم بالترجمة والنقل. ويسمي السياسيون هذا البعد بـ"الجيوبيوليتيك" أو الموقع السياسي على الخارطة، مضافا إليه الموقع الثقافي أو الحضاري. لأن القيم والاستراتيجيات كثيرا ما تتشكل أو تتأثر حسب الموقع الحضاري ونظرة المترجم له أو موقفه منه.

و يبدو أن الترجمة عندنا لا تعاني من هذه الحساسية،فهي في حقول معرفية كثيرة تغلب جانب الدقة و الصحة والشفافية،بعيدا عن المساءلة النقدية فيما يَحت و يتلقى عن الثقافات الأخرى، ولا سيما المصدر الغربي،الذي لا يجوز التصرف فيه إجلالا و احتراما لما يتميز به معرفيا مما يجعل التفاعل وفق الرؤية المحلية معه عبثا،وإن تعلق الأمر ببعض الحقول المعرفية التي تتطلب أن لا تكون عملية الترجمة و النقل زجاجا شفافا يمرر المعرفة دون أن يؤثر فيها.و مما يستشهد به هنا المعرفة التي تنقلها المعاجم،و إن كانت هذه المعرفة ذات طابع تراكمي و غير متواتر،فإننا في كل الحالات بحاجة إلى التعرف على ما لدى الآخر معرفة دقيقة و شاملة،لكن هذا لا يقلل من دور تأمل ناقل المعرفة سواء أكان مترجما أو معربا أو مؤلفا يوظف المفاهيم و المعارف على اختلافها.

[10] انظر: المرجع السابق.

References

[1] Alain Rey : le lexique, images et modèles du dictionnaire a la lexicologie, Armand colin, Paris 1977.

[2] Al-Marji‘ wa-al-dalālah fī al-Fikr al-lisānī al-ḥadīth, ta’līf majmū‘ah min al-bāḥithīn, tarjamat wa-ta‘līq ‘Abd al-Qādir qnىny – Afrīqiyā al-Sharq, Maṭābi‘ Afrīqiyā al-Sharq al-Dār al-Bayḍā’, 1988.

[3] ‘Abd al-Majīd Jaḥfah : madkhal ilá al-dalālah al-ḥadīthah, Dār Tūbqāl llbshr-al-Dār al-Bayḍā’, al-Maghrib, 2000.